ان غادرت زوجته الى القاهرة: «لم يأت فجر ذلك اليوم بأي شيء مطمئن. لم نعد نتذكر تلك الأوقات عندما كانت حياتنا هادئة مسالمة. بدا وكأننا لم نعرف في حياتنا سوى الغارات الجوية، وكأننا وُلدنا في اثناء غارة جوية، ولا نملك أن نتمنّى سوى الموت في غارة أخرى. كنا كالغريق وسط البحر، وقد ظهرت له، فجأة، حياته كاملة محبوسة في لحظة من الزمان. لم يحمل ذلك الفجر معه أية راحة، أو عزاء، أو وعد بالسلام. كان فجراً واعداً بمزيد من الموت والدمار والعذاب. وذلك الخليط البشع من الدخان والاطارات المحروقة والجثث المتفحمة أزاح من أمامه عبق الياسمين ورائحة ازهار الليمون والبرتقال» (ص ٤٩ ـ ٥٠).

حالة الذهـول هذه، والاحساس بالعزلة التامّة في مواجهة خطر الموت، كانت تلوح على وجوه العديد من المقاتلين، صغاراً وكباراً، الذين صُعقوا من الصمت العربي الموحش من حولهم (ص ٣٨)، ومن انهيار عدد من الأطر والكـوادر التنظيمية والعسكرية بين صفوفهم (ص ٢٢). ولكن هذا لم يقلّل، أبداً، من مظاهر التحدي والبطولة الخارقة والصمود الهائل الذي كبّد القوات الاسرائيلية المحتلة أكثر من ألف اصابة بين قتيل وجريح، خلال الايام الاولى من المعارك. وفي المقابل، ارتفعت وتيرة القسوة والعنف في مواجهة المدنيين العزّل، وانهارت ابنية بأكملها، نتيجة القصف المتواصل بأحدث ما وصلت اليه التقنية الحربية الاسرائيلية، من قنابل عنقودية وفسفـورية وغيرها، لتقتل معها مئات الأطفال والنساء والعجزة المحتمين في الملاجىء. ومع الخامس عشر من حزيران (يونيو)، كان مخيم عين الحلوة في صيدا قد دُمِّر عن آخره، فيما تواصلت حملات الاعتقال في كافة المناطق التي اجتاحتها القوات الاسرائيلية. وتراوحت اعمار الموقوفين ما بين التاسعة والخامسة والسبعين (ص ٥٢)، واستهدفت، بصورة خاصة، افراد المقاومة الفلسطينية.

في هذه الاثنـاء، كان صلاح التعمري يتنقل باستمرار من مكان الى آخر، محاولاً تجنّب الوقوع في أسر المحتلين، من جهـة، ومراقباً الحالة العامّة من حوله، بهدف استطلاع امكانية تنظيم مقاومة محلية للاحتلال الاسرائيلي، من جهة أخرى. وعلى لسان زوجها، سجّلت الكاتبة السطور التالية، تعبيراً عمّا دار في أعماقه: «كتبت تعميماً من عدة نسخ وسلّمته لأحد الشبان لكي يحمله الى صيدا. وكان هذا نوعاً من الجنون، حيث ان احداً هناك لم يكن لديه الوقت للقراءة في تلك اللحظة. كان الجميع مشغولين بتأمين الحاجات اليومية الملحّة، كالغذاء والماء والملجأ الامين (التوجيهات أو كلمات الدعم التي عبّر عنها صلاح في تعميمه كانت تبدو، ربما، كقطرة في بحر بالنسبة الى الناس آنذاك. دينا).

«اعتقدت بأنه في امكاني البقاء في صيدا وتجنّب الحملة الاولى من أعمال التفتيش، وبالتالي تنظيم قاعدة مناسبة للمقاومة والعمل. وكان أقل ما في امكاني عمله هو ان أظهر أمام الناس وأقول لهم ان احداً لم يتخلَ عنهم، لكي يعرفوا ان هناك الكثيرين يشاركونهم المصير ذاته، ويواجهون المشاق ذاتها. وقع الكثير من شبابنا في الأسر ونقلوا الى المعتقلات. في النهاية، لم يبق معي أحد. لم يبق هناك مكان لم أحاول، خلال اثني عشر يوماً، ان أجد فيه مخبأ، أو مكاناً للنوم. وفي النهاية، اصبحت حملات التفتيش مكثّفة ومتواصلة» (ص ٥٣).

مراكز الاعتقال التي أقامها الجيش الاسرائيلي في الجنوب المحتل كانت عديدة، وتعرّض المعتقلون، فيها، لأبشـع أنـواع القسوة والاهانة والعنف، وسقط العشرات ضحايا المعاملة السيئة، والضرب المبرح، والجوع، والعطش، وحرارة الشمس الملتهبة. ومن بين الشهادات العديدة التي تلاحقت، في تلك الايام، من شهود عيان ومراقبين دوليين، ما نقلته الكاتبة عن لسان النرويجي أغوند موللر، احد العاملين في النشاطات الاجتماعية في الجنوب. قال: «كان هناك رجل في الستين من العمر؛ ويبدو ان حالته كانت يائسة؛ فالحرارة لم تكن محتملة؛ ولم يكن لديه شيء من الماء. نهض من مكانه ومشى مترنّحاً الى الماء. حاول أن يلفت انتباه احد الجنود، فقفز اليه أربعة، أو خمسة، منهم وبدأوا يرفسونه بأرجلهم ويضربونه بصورة متواصلة. استمر ذلك حوالى عشرة دقائق. كان المنظر رهيباً. وخُيِّل للمرء انه سيستمر الى الأبد ـ هذا الضرب الوحشي كان يحدث باستمرار في الساحة. تابعوا ضرب الرجل العجوز في كل مكان، على الرأس والصدر والبطن، وعندما انتهوا كان هامداً في مكانه، ربطوا قدميـه معـاً بحبل ومدّوا الحبل ليربطوا به يديه، بحيث أصبح على هيئة قوس. كان ملقىً على معدته ورأسه